القصيدة التفاعلية

لقد عرفت القصيدة العربية في العشرية الأخيرة من القرن الماضي تطورًا على مستوى الشكل والمضمون لتصبح القصيدة العربية تحاكي جميع التفاعلات ،والأحداث التي باتت ترافق الفنون الأدبية حينها ،ومن ببنها النص الشعري الذي حقق لنفسه وجودًا في عالم العولمة الرقمية بعد أن تفاعلت الآداب فيما بينها شرقًا وغربًا ، وبذلك انتقلت القصيدة العربية من المجال الورقي الحسي إلى المجال الرقمي البصري" على نحو يتحدى الحدود التقليدية الملائمة للنصوص الورقية المطبوعة في هذا النوع يكون حضور الصوت والصورة والأشكال الجرافيكية مكمّلاً للنص المكتوب ومعينًا للثغرات التي تتركها الطباعة أحيانًا ، بحيث يؤدي تعطل أحدها إلى تعطيل النص كاملاً" أصبح النص الشعري بعد هذه النقلة النوعية صورة جديدة لم يألفها التلقي العربي ولا حتى الإبداع البشري، فكان التلاحم بين النظم/التقنية في عالم افتراضي ضرب من المفارقة التي شكلت هاجسًا عند المبدع العربي والناقد خاصة بعد أن سبق المبدع الغربي إليها وتوظيفه التقنية في مختلف نصوصه التفاعلية الترابطية في حين بقيت المبدع والتقني في حالة ريبة وتوجس من التقنية الرقمية وسلبياتها التي أخرت العقل العربي وجعلته يعيش الخوف ويتأخر في تحقيق وجوده الفكري والافتراضي على الشبكة الرقمية.

أمّا عن الحضور للنص الرقمي في عالم الشبكة يبقى مفهومه بين مؤيد ومعارض لعدم فهم الكثير من النقاد لفحوى هذا الأدب أو لجهلهم بمختلف الوسائط الرقمية المتاحة في تفعيل دور هذا النوع من الإبداع في نقلة نوعية تسمح بتطوير الجنس الأدبي دون خوف من التقنيات الرقمية، خاصة بعد أن أطلق عليه" اسم الجنس(التكنو- أدبي)"

ومنه القصيدة الرقمية قد أسست أسباب وجودها في عالم الشبكة بعد أن أصبح المبدع التفاعلي قادرًا على "استخدام خصائص النص الجديد ، أقصد النص الذي يطلّ علينا عبر شاشة الحاسوب، وهو ما اصطُلح عليه باسم(النص المتفرع "(Hypertext-،ولعلّ العالم الغربي قد كان سبّاقًا إلى استخدام عالم الرقمنة بطلاقة وتسخيره في خدمة الأدب بحثًا عن روافد جديدة للنص الأدبي في عالم باتت التقنية فيه توجّه تفكيره نحو عوالم افتراضية جديدة أكثر شساعة وطلاقة، وتشير(فاطمة البريكي) إلى أنّ القصيدة الرقمية أصبحت "تمثل مصطلحًا ناضجًا في الثقافة الغربية المعاصرة، إذ مضى على ممارسة هذا الجنس الجامع بين الأدب والتكنولوجيا ما يقارب الخمسة عشر عامًا ، هي عمر أول قصيدة تفاعلية غربية" ،وعليه فالنص الشعري الرقمي تتردد فيه ثلاثة مصطلحات معجمية حسب تعبير فاطمة البريكي ،وهي موثقة في الجدول الآتي:

	المصطلح باللّغة العربية	المصطلح باللّغة الأجنبية
01	القصيدة التفاعلية	(Hyper poème) - (Interactive Poème)
02	القصيدة الرقمية	(Digital Poème)
03	لقصيدة الإلكترونية	(Electronic Poème)

ومع ذلك تبقى مسألة استخدام مصطلح القصيدة الرقمية التفاعلية في عالم النقد الأدبي تتأرجح بين العديد من الدلالات التي تعبر في النهاية عن النص الشعري التفاعلي "للدلالة على تطبيقات أدبية إبداعية متنوعة لأعمال مبنيّة على برامج (Flache)و (DHTML)وغيرها من خلال معطيات(النص المتفرع) أو(النص الشبكي)، أو(أدب الشبكة "(Web Art-

،وعلى العموم يمكننا تحديد تعريف أوحد للقصيدة التفاعلية" بأنّها ذلك النمط من الكتابة الشعرية الذي لا يتجلى إلاّ في الوسط الإلكتروني معتمدًا على التقنيات التي تتيحها التكنولوجيا الحديثة، ومستفيدًا من الوسائط الإلكترونية المتعددة في ابتكار أنواع مختلفة من النصوص الشعرية" لتشكل نصًا جديدًا لم يسبق نشره أو إبداعه، فتصبح التقنية الرقمية عاملاً فاعلاً في بنائية مورفولوجية النص الشعري تدريجيًا انطلاقًا من الرؤية التفاعلية التي يطرحها(النص/المبدع/المتلقي) لتصبح هذه القصيدة في النهاية خالدة باستمرار على صفحات الشابكة التي تتجدد من خلال إضافات المبدع/المتلقي، ولعلّ الشكل الهرمي الآتي يصور حالة التطور التي تدرّجت فيها القصيدة العربية في عالم النظم بداية من النظم الشفهي إلى النظم الورقي ليختم النص بالنظم الرقمي التفاعلي.

تعريف لوس غلايزر (Loss Pequeno Glazier) وهو: "تلك القصيدة التي لا يمكن تقديمها على الورق". حيث لا تصاحب القصيدة الورقية العناصر الصورية والصوتية التي لا يمكن أن تكون محمولة على الورق، فمن الممكن أن يحمل الورقُ الصورَ، لكن آلية العرض والتأثير تقلاّن عن حضورهما في آلية العرض والتأثير في النصّ التفاعلي، أما مؤثر الصوت فيفرق عن العزف المنفرد المرافق للنصّ الورقي بأن الصوت في النصّ التفاعلي يشكّل جزءاً من بنية النصّ، أما في النصّ الورقي فيكون عاملاً خارجياً عن بنيته.كما تصاحب القصيدة الرقمية المؤثرات المتحركة، وهذا لا يتوفر في الورقية.

(ا) تقنية التشعب النصي بنوافذ فرعية تظهر بمجرد تمرير المؤشر (الماوس) على ألفاظ محددة داخل النافذة المعروضة، وذلك التفرّع التشعّبي لا يحجب رؤية النافذة تماماً وإنما يكون بنافذة صغيرة تظهر على يمين النافذة وأحياناً شمالها.

(ب) بناء النصّ الورقي على آلية التسلسل في ترتيب النصوص، وأما النصّ التفاعلي فيأتي ترتيبها تراكمياً بحيث تتفرع النوافذ حاملة رؤى جديدة لموضوعة واحدة.

وتعريف البريكي، وهو: "ذلك النمط من الكتابة الشعرية الذي لا يتجلى إلاّ في الوسيط الإلكتروني، معتمداً على التقنيات التي تتيحها التكنولوجيا الحديثة، ومستفيداً من الوسائط الإلكترونية المتعددة في ابتكار أنواع مختلفة من النصوص الشعرية، تتنوع في أسلوب عرضها، وطريقة تقديمها للمتلقي/المستخدم، الذي لا يستطيع أن يجدها إلاّ من خلال الشاشة الزرقاء، وأن يتعامل معها إلكترونياً، وأن يتفاعل معها، ويضيف إليها، ويكون عنصراً مشاركاً فيها . "

أما مضامين تعريف البريكي فمتحققة أيضاً:

أولا: أنها ذلك النمط من الكتابة الشعرية الذي لا يتجلى إلاّ في الوسيط الإلكتروني: فتباريح رقمية لا يمكن عرضها إلاّ عبر الوسيط الإلكتروني المرتبط بالنت أو غير المرتبط به.

ثانيا: الاعتماد على التقنيات التي تتيحها التكنولوجيا الحديثة: وما ذكرناه في تفصيلات تعريف غلايزر دليل على حضور هذه الفقرة من تعريف البريكي.

ثالثا: الاستفادة من الوسائط الإلكترونية المتعددة في ابتكار أنواع مختلفة من النصوص الشعرية، فمن المعلوم أن الوسائط التفاعلية متعددة، ولعل أشهرها وأيسرها استعمالاً عند المتلقي هي الأقراص المدمجة .(CD) وقد قدم الشاعر مشتاق نصّه الذي نعمل على تحليله على وسيلة القرص المدمج مع إمكانية عرضه على الشبكة العنكبوتية بيسر.

رابعا: تتنوع في أسلوب عرضها، وطريقة تقديمها للمتلقي/المستخدم: إذ حاول الشاعر مشتاق استثمار أغلب التقنيات المتاحة، فنصّه مبني على الاستعانة بالمؤثرات الصورية والصوتية والكتابية، فضلاً عن اعتماد تقنيات النص المتفرّع وتقنيات النصّ التشعّبي، مضافاً إلى آليات الاستبدال والمغايرة في تركيب الجمل الشعرية وحتى النصوص.

خامسا: نصوص بهذه المواصفات التي ذكرناها سلفاً لا يمكن أن يكون عرضها ورقياً، ولا يستطيع القارئ/المستخدم أن يجدها إلاّ من خلال شاشة الحاسوب الزرقاء، إذ لا يمكن عرضها إلا عبر الحاسوب والتعامل معها الكترونيا.

سادسا: أن يتفاعل معها، ويضيف إليها، ويكون عنصراً مشاركاً فيها. إن قضية مشاركة المتلقي في عملية التفاعل النصّي تأتي من خلال تحميله وتصفّحه واختياره نقطة البدء والختام، لتشكيل رؤية معينة تتيحها له عملية الإبحار في نوافذ النصّ التفاعلي، أما الإضافة إلى النصّ، فهي تعبير قد يفهمه بعض القرّاء على أنه إضافة حقيقية، في حين أن النقاد التفاعليين يؤكدون أن تلك الإضافة تتحدّد بالمعنى المجازي .

لقد لعبت القصيدة الرقمية دورًا هامًا في تطوير النظم العربي ونقله نقلة نوعية تدلّ على عمق التفاعل الكبير بين ما هو ورقي، وما هو رقمي في ثنائية متعددة الأوجه تدلّ على عمق التفاعل الفكري، والتقني في ظلّ العولمة الأدبية التي أصبحت تشكل نمطً المثاقفة في عالم اللّغات البصرية، وما تحويه من تمازج بين جميع الفنون الأدبية وأجناسها، وأقسامها ومنها القصيدة التفاعلية التي أصبحت تشكل آخر صيحات النظم العربي تدريجيًا عند النقاد والمبدعين، وتقني الرقميات.

لقد تطورت القصيدة العربية فمن النسق الخليلي العمودي الذي كان في العصور القديمة من المقدسات، إلى قصيدة التفعيلة (الحرة) التي نادت بها الشّاعرة (نازك الملائكة)، والشّاعر (بدر شاكر السيّاب)، إلى القصيدة الرقمية" التي أسست لمنطلقات شعرية تتجاوب مع الراهن، ولنسق شعري أكثر حداثة في ظلّ التأثير والتأثر بين الآداب العربية والغربية على وجه الخصوص كصدمة تقنية أحدثها العولمة الفكرية على مستوى الشبكة العنكبوتية، ومختلف شبكات التواصل الاجتماعي، والمنتديات الأدبية على وجه الخصوص، فكانت بمثابة الزلزال القوي الذي غيّر النظم الفكرية والمقدسات الإبداعية، إذْ أصبح النص الشعري الرقمي يمثل آخر صيحات الحداثة في عوالم افتراضية غير محدودة.

استطاعت القصيدة التفاعلية العربية التي نشأت، وارتقت في عالم أصبحت تتحكم في العولمة والتقنيات والبصريات والشبكات الرقمية لتصبح القصيدة كلّ هذه التعددات المتمازجة بشكل فني تقني دون إشكال ولكي ترتقي هذه التقنية في المشهد العربي النقدي عليها الانخراط في ممارسة هذا التعبير من طرف المبدعين العرب" ويبقى رهان الممارسة التجريبية خير محك للتفكير في هذه التجربة" ،إنّ هذه الممارسة من شأنها خلق عوالم تقنية ونقدية يتواصل معها النص الرقمي دون خلل مع حركية الإبداع والنقد العربي بسلاسة "وتبقى عملية انخراط كل مبدع ومثقف عربي في رهان هذه الممارسة إنتاجًا أو تنظيرًا خطوة حضارية بامتياز" باتت تشكل في النهاية ملمحًا حضاريًا لصور التنوع، والتعدد الثقافي بين جميع الحضارات والثقافات دون توجس فكري يذكر.

لقد أوجدت القصيدة الرقمية لنفسها في باب العولمة الرقمية منبرا آخر مجانيًا تتواصل من خلاله مع جمهور القراء من المثقفين الذين أصبحوا مدمنين على التواصل مع غيرهم من بني الإنسانية عبر قاعات الإنترنيت من

خلال شبكات التواصل الاجتماعي المتنوعة نحوَ:(تويتر/فيسبوك/يوتيوب) عبر وسائط متعددة وظهور ما بات يعرف بـ(الأدب التفاعلي) والذي أنتج لنا القصيدة الشعرية الرقمية كمحصلة لتطور النظم، فكانت تلك انطلاقة أخرى للنص الشعري العربي فالناقد (عزّ الدين مناصرة) اعتبر قصيدة النثر جنسا أدبيا ثالثا مستقلا بعد الشّعر والسرد" ، في حين نحن نعتبر (القصيدة الشعرية الرقمية) بمثابة(النموذج الشّعري الرابع)الذي تمخض عن المرحلة الرقمية الحالية للألفية الجديدة حيث مزج هذا النموذج الجديد بين الفنون الأدبية، وجميع أجناسها، وهدم فكرة الحدود والمرجعيات التي وضعها التراث الفكري والفلسفي في النقد العربي/الغربي فكان هذا النموذج الجديد يؤسس لـــــ" جماليات مفارقة(...) حيث أصبحت القصيدة تستقبل ككيان واحد وليس كأجزاء متناثرة " ، وهذا النموذج الشعري يمزج النص الشعري الحداثي مع الموسيقى الصوتية المصاحبة له وصور رقمية أيقونية تصاحب المقاطع الشّعرية/الوحدات/الجمل ...إلخ في جو من الشاعرية والفنية الراقية وبذلك تصبح القصيدة منفتحة على كلّ الأجناس والفنون تتعايش معا لتكون لنا جمالية "الكلمة والصوت والصورة" في ثلاثية منسجمة بينها، وبين المتلقي لهذا النموذج الشّعري الجديد.

فهذا التجديد في النظم العربي أشارت إليه الناقدة (فاطمة البريكي) من خلال كتابها (مدخل إلى الأدب التفاعلي) حيث نجد أنّ الأساس فيه (الروابط أو الرابط (lienالذي يتجلى من خلال مفتاح أو صورة أو أيقونة أو كلمة معينة ،ويتضح جليا إمّا بواسطة اللّون أو خط تحت كلمة، أو جملة، أو علامة في النص للإحالة على عقدة أخرى وحين نمرّر مؤشر الفأرة عليه يتحول هذا الأخير إلى النموذج الرقمي المسمى بالقصيدة التفاعلية (Interactive Poem)،والتي تنتمي إلى (الشّعر التفاعلي :Interactive Poetry)

وعليه نستدل على ذلك بأمثلة شعرية عن هذا النموذج الشّعري الطارئ، والذي لا يقرأ إلاّ من خلال الشبكات الرقمية بشكل حصري، فهناك عدّة نماذج شعرية أبدعها الشعراء لكي ينقلوا للمتلقي ذلك التمازج الفني بن اللّغة الشعرية والصورة الرقمية والموسيقى الفنية المصاحبة للقصيدة والتي تتركها تعبر عن تلك المشاعر الجميلة ذوقيًا ومن بين هؤلاء الشعراء التفاعليين لابد من ذكر أوّل (مجموعة شعرية تفاعلية) كانت للشاعر العراقي (عباس معن) بعنوان (تباريح رقمية لسيرة بعضها أزرق) سنة2007، وهي تجربة لا تتسم بالريادة فحسب ، بل تتسم أيضا بالجرأة ، والمعاصرة، وهذه صورة رقمية لها كالآتي:

وعليه لا نستطيع قراءة هذا النموذج إلاّ من خلال الشبكة الرقمية لا غير، وهذه ميزة القصيدة الرقمية التفاعلية في كونها قصيدة تنطلق من عالم الواقع الآني إلى واقع افتراضي رقمي يخلق معه الشّاعر والمتلقي وجودًا ثالثا للنظم الشعري، وبذلك تكون القصيدة حية دائما في ذلك العالم الافتراضي تتجدد فيها باستمرار.

القصيدة تعتمد تقانة المدونة الرقمية من حيث تصميم الأيقونات، وآلية التعامل معها ، وتتطلب أن يتم تلقيها عبر جهاز الحاسوب، إذ تقدم محملة على قرص مضغوط، وإذ تظهر للمتلقي الواجهة الأولى يجد أن هناك طريقين للولوج إلى القصيدة التي وسمها الأديب باسم (تباريح رقمية لسيرة بعضها أزرق) ، فالأول هو الخط العمودي على اليمين ، ممثلا بأيقونتين ، تحملان كلتاهما عبارة (اضغط فوق ضلوع البوح) ، وكل منهما تحمل المتلقي إلى خيار شعري ينماز ببوح خاص، عبر مقطع شعري يتم التوصل إلى الواجهة التي تظهره عبر النقر على أحدى الأيقونتين، غير أن النص القادم ليس بالضرورة هو الأخير ، فهو يحيل على نصوص أخرى بما يظهر للمتلقي من أيقونات تحمل عبارات أنشئت على وفق ما هو متوقع من المتلقي من انفعالات تجاه النص

السابق ، أما الطريق العمودي في الواجهة الرئيسة فيتضمن خمس أيقونات بصف رأسي كتب عليها بالتسلسل: (أيقنت، أن، الحنظل، موت، أحمر)، وحين يمر مؤشر الحاسوب على كل أيقونة ، تطلعه تلقائيا - بما في كل حاسوب من آلية التعريف والشرح - على امتداد الكلمة النصّي، فمجموع الكلمات يظهر نصا شعريا، وكل منها تعد رأس نص شعري آخر يتم التوصل إليه تباعا بتحريك المؤشر على كل واحدة ، وكل نص يصل إليه المتلقي يعبّر له عن هواجسه أو يجيب عن أسئلته المفترضة بحسب انفعاله المتوقع لتحقيق التفاعل معه عبر تسطير رقمي تقني.

إن الشاعر (الناص) قد وظف - فضلا عن النصوص المتوالدة من بعضها باختيار المتلقي المتفاعل - شعرية اللون (ألوان الخلفيات، وألوان الحروف، وألوان اللوحات، وما تضيفه اللوحات من قيمة تعبيرية مؤثرة باتجاه تأثير النص) ، وشعرية الصوت (الأناشيد التي هي عبارة عن شعر يؤدى مع الموسيقى ، والمعزوفات الموسيقية المرافقة لعرض النصوص)، وشعرية الكتل الناطقة (الأيقونات، والمنحوتات، والخزفيات، والكتل الفنية التي تظهر صورها أمام المتلقي برفقة النصوص)، كما وظف شعرية المفارقة (ما يكشفه الشريط الإعلاني المتحرك من قرارات وأخبار تزيد من قلق المتلقي وتحفزه نحو ضرورة التفاعل مع النصوص باتجاه أحد الخيارات التي تظهرها الأيقونات)، ولا يخفى ما يحمله الشريط الإعلاني من أثر في نفس المتلقي جلبه من وظيفته الأصلية في شاشة الأخبار، وعلى سبيل المثال ثقافة (عاجل ... عاجل ..) ، وما فيها من قلق وترقب وإثارة ، وقد كان التوظيف الأبرز هو استعمال التقانة الرقمية لجعل الحاسوب الوسيلة الوحيدة لتلقي الشعر، مما يتطلب خبرة عملية في مجال البرمجة الرقمية، وتنوعا في أساليب عرض الواجهات وطرق تسلسل الأيقونات فيها انسجاما مع المؤثرات السمعية والمرئية ، فضلا عن دقة الاختيار فيما يتعلق بالكتل اللونية كاللوحات ،

والكتل المنحوتة ، والخزفيات، وغيرها من النتاجات الفنية المعبرة عن البوح ، مما يصلح لإسناد فعل النص في المتلقي وتعزيز انفعاله وتفاعله معه.

إن هذه القصيدة توظف الممارسات الثقافية المختلفة التي قد تكون منتمية إلى بيئات وفلسفات مختلفة ، لها ما يميزها عن بعضها من جواهر ومظاهر ، لكنها تحتفظ بلسان موحد للنص المكتوب ، وهو اللسان العربي المبين، وان كانت المؤثرات السمعية والبصرية المنتقاة هي عالمية في إبداعها ونشأتها ، فان عالمتها تستند إلى مشتركات إنسانية ثقافية متداولة عالميا ، تسمح لنفسها بالحضور الحي المتفاعل ، والتفاعلية التي تتسم بها تجعل منها نصّا محبوبا ، يمكن للمتلقي أن يلبي - عبره - حاجته في تداعي المشاعر والانفعالات ، وكل ما عليه أن ينقر على أيقونة يختارها لكي يجد تواصلا شعوريا بينه وبين الشاعر/النّاص، يقوم المتلقي بتتبعه دفقة بعد أخرى، حتى ينتهي بأن يختار نهاية القصيدة بنفسه (من حيث الزمن ، والانفعال ، والموضوع)، أو أن يسترسل في تتبع مقاطعها، دائرا في حلقاتها التي يختار مادتها بنفسه.